

فكرة القومية الكوردية قراءة تاريخية لعقبات التبليور وتحديات التكوين

لقمان خيالي

قسم العلوم الاجتماعية، كلية التربية الأساس، جامعة كرميان

luqman.abdullah@garmian.edu.krd

الملخص

تسلط هذه الدراسة الضوء على العقبات التي عرقلت أو ساهمت في تأخير تبلور فكرة القومية بين أوساط الشعب الكوردي، وتتطرق أيضاً إلى التحديات الخطيرة التي واجهت فكرة القومية في مرحلة تكوينها. لاشك أن عدم وجود دولة كوردية وغياب سلطة قومية قادرة على حماية الخصوصية القومية قد تركت آثارها السلبية على تبلور الفكرة القومية بين الكورد في القرون الماضية.

بعد معركة جالديران عام 1514 دخلت كردستان مرحلة تاريخية صعبة، فقد جرى لأول مرة تقسيم أرض كردستان بين الدولتين العثمانية والصفوية، وعانى الشعب الكوردي من ويلات ومآسي الصراع الديني (المذهبي) السائد بين الدولتين، وإلى جانب خطر التقسيم كانت الأمية المتفشية والفقر والتخلف الاجتماعي السائد في المجتمع الكوردي يُعدُّ من الأخطار التي ساهمت بدورها في زيادة معاناة هذا الشعب وتسببت في بقاءه مهيبض الجناح دوماً بحيث جعله يخضع لمخططات أعدائه ويُسهل عليه أمر استعباده له من غير أن يشعر بخطورة ذلك.

شهدت كردستان تقسيمات أخرى بين كيانات سياسية جديدة في القرن العشرين مما أوجدت ظروفاً صعبة للشعب الكوردي الذي واجه ولا يزال يواجه تحديات كبيرة بسبب مخططات الدول وسياسات الحكومات المستبدة التي تسعى لفرض ثقافتها العنصرية المخايرة للثقافة الكوردية في أجزاء كردستان المحتلة. ولم تكن مصالح القوى الكبرى أقل خطورة من التجزئة التي يعاني منها الشعب الكوردي، فقد برهنت التجارب والأحداث الماضية أن مصالح القوى الكبرى لا تتفق مع آماني القومية الكوردية وتطلعاتها الهادفة إلى نبذ التقسيم وإنشاء كردستان المستقلة.

كلمات مفتاحية: القومية الكوردية، عقبات التبليور، تحديات التكوين، الخصوصية القومية، كردستان، كيانات سياسية

المحور الأول: تقسيم كردستان وبداية الصراع الديني

يُعدُّ الصراع الديني (المذهبي) الطويل بين إيران الشيعية والدولة العثمانية السنية واحداً من العوامل التي ساهمت في تأخير تبلور ونشأة فكرة القومية الكوردية، فعلى مدى ثلاثة قرون من الصراع المرير بين الجانبين والذي شارف على الانتهاء

تقريباً بعقد معاهدة أرضروم الثانية 1847⁽¹⁾، كانت كردستان خلالها ساحة للمعارك الطاحنة التي تسببت في هلاك العباد و خراب البلاد. ولولا ظهور الشيعة الصفويين الغلاة في إيران عام 1501 ودخولهم في نزاع طائفي مع العثمانيين لكان بإمكان إمارة أردلان أن تكون نواة لتكوين دولة كردية في القرن السادس عشر ومن ثم تصبح مهذاً بدائياً لتبلور فكرة القومية الكردية ، إذ تمكن الأردلانيون من بسط سيطرتهم على مناطق واسعة في كردستان، غير أن المواجهة بين الصفويين والعثمانيين أعادت مشروع أمراء أردلان وذهبت محاولاتهم أدراج الرياح.

بعد معركة جالديران وهزيمة الصفويين القزلباش سحنت لأمراء الكورد فرصة تاريخية ليتمكنوا من توحيد كلمتهم واستغلال قواهم الذاتية من أجل تكوين إمارة كردية قوية تحظى بحماية العثمانيين، غير أن أنانية أمراء الكورد وتمسكهم بعروشهم الإقطاعية الهزيلة خيب آمال (ملا إدريس البتليسي)⁽²⁾ مستشار السلطان سليم الأول (1512-1520)، فبادر البتليسي إلى إقناع السلطان العثماني بأن يقر بسلاطنتهم المتوارثة في إماراتهم النائية مقابل تقيدهم بالتزامات ضرورية تجاه السلطنة العثمانية في اسطنبول. وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تكريس حالة التشرذم السياسي والتبعية للغير وتكريس التكوين القبلي للمجتمع الكوردي وتوطيد أسس النظام الإقطاعي شيئاً فشيئاً، وهكذا ظلت مشاهد التخلف تلازم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لعدة قرون ولم تشهد الساحة الكردية تغييرات إيجابية تساعد أو تمهد السبيل نحو مشروع قومي فوقوي يتبناه أمير كوردي أو رئيس قبيلة كردية. وينبغي أن لا نستغرب من انعدام الوعي القومي بين الشعب الكوردي آنذاك، فالنزعة القومية بمعانيها الشمولية المعاصرة لم تكن سائدة حتى بين الفرس والأتراك وقتذاك⁽³⁾، فبالنسبة

⁽¹⁾ معاهدة أرضروم الثانية عام 1847 : عقدت هذه المعاهدة بعد وقوع تجاوزات على الحدود بين الدولة العثمانية والدولة القاجارية في إيران على خلفية الصراع حول منطقة المحمرة عام 1837 ومنطقة شهرزور التي كانت تحت حكم (الإمارة البابانية) عام 1840. وحضر ممثلوكل من بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية جولات المفاوضات مراسيم التوقيع على المعاهدة. للإطلاع على نصوص المعاهدة. راجع: شاكرا صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، (دار البصري - بغداد - 1966)، ص 63-66. جميل موسى النجار، "معاهدة أرضروم الثانية بين الدولة العثمانية وإيران دراسة لعلاقات بين الدولتين خلال حقبة تبلور المعاهدة 1843-1848" مجلة (جامعة كركوك)، العدد (2)، المجلد (6)، السنة السادسة 2011. ص 1-25.

⁽²⁾ ملا إدريس البتليسي: هو إدريس هو ابن الشيخ حسام الدين البديسي (1452-1520م) ومن عائلة دينية في مدينة بدليس خدم الملا إدريس في بلاط السلطان يعقوب (1479-1490م) ابن أوزون حسن وعين هناك كاتباً ثم مستشاراً للشؤون الكردية حتى وصل إلى منصب وزير وبعد أن قضى الشاه اسماعيل على آق قويونلو ذهب الملا إدريس إلى مقر الصفويين وأصبح شخصاً مقرباً من الشاه وبقي في خدمته. وفي سنة (1511م) ذهب الملا إدريس إلى الحج ولم يرجع إلى البلاط الصفوي وذهب لخدمة السلطان بايزيد (1481-1512م). وبناءً على رغبة السلطان كتب تاريخ ثمانية سلاطين من العثمانيين سماه (هشت بهشت) وهو مؤلف من (80) ألف بيت وباللغة الفارسية ومن الناحية الأدبية يعتبر أحسن مصدر للأشعار الفارسية لقوة وجمالية لغته. وعندما انتشر المذهب الشيعي على يد الصفويين كتب البديسي تاريخ هذه الأحداث بعبارة (مذهب ناحق). بعد إنتصار العثمانيين في معركة جالديران عين السلطان سليم الأول ملا إدريس رئيساً للمستشارين ومسؤولاً عن عواقب المعركة ولكي يستطيع السلطان بمساعدته تحرير مناطق كردستان من حكم الصفويين. ينظر: شرفخان البديسي، شرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكردية، ج 1، تر: محمد

علي عوني، ط 2، (دار الزمان-2006-دمشق) ص 326-328 K w <http://kuliik.com/portal/node/23729>

⁽³⁾ جه عنده رعه لى، ناسيوناليزم و ناسيوناليزم كوردى (سليماني - 2004)، ل 140.

لايران التي لم يكن حكامها من القومية الفارسية حتى تسلم الأسرة البهلوية للحكم في 1926، إلا أن الحضارة والثقافة الفارسيين استطاعت أن تفرض نفسها على أصحاب السلطة في إيران وتجعلهم حماة أمناء للحفاظ على تفوق الفرس على بقية الأقوام والأعراق في إيران، أما الدولة العثمانية التي تشكلت بعبقرية الأتراك العسكرية المقترنة بروح الجهاد للدفاع عن عقيدة الإسلام، فقد قدرت لها بفضل هذه القوة المزدوجة أن تضع السيادة بيد الأتراك حصراً منذ نشأتها وحتى ولادة تركيا الحديثة وبروز القومية التركية الاستعلائية بزعامة مصطفى كمال (أتاتورك).

في ظل واقع التقسيم السائد في كردستان الذي عاشه المجتمع الكوردي منذ القرن السادس عشر لم يكن تبلور فكرة القومية بين أبناء هذا المجتمع بمعانيها المعاصرة أمراً ممكناً أو هدفاً قريب المنال، ففي ذلك الوقت كان ولاء الفرد لقبيلته وتعلقه ببيئته الجغرافية الصغيرة أقوى من أية رابطة أخرى⁽⁴⁾، كما أن اختلاف اللهجات الكوردية بين منطقة وأخرى، وتضاريس كردستان الوعرة زادت من حالة العزلة والتفوق في مناطق ضيقة، وبالتالي قلّ التواصل والحوار الاجتماعي الضروريين لظهور مفاهيم قومية مشتركة⁽⁵⁾. لكن الذي أعطى زخماً كبيراً لحالة التشتت الكوردي فكان يتمثل في الصراع المذهبي المستمر بين الدولتين الصفوية والدولة العثمانية والذي كان يتطور بين فينة وأخرى إلى حرب دموية وخلالها استغلا الطرفان طاقات الكورد في الحرب، وفي أغلب الأحيان كانت جولات القتال تدور على أرض كردستان فتتحرق الأخضر واليابس معاً، ثم لا تمض فترة حتى تضع الحرب أوزارها وينعقد الصلح بينهما ويتوصل الجانبان إلى تسوية معينة على حساب الكورد، والأغرب من كل ذلك أن الصفويين والقاجاريين كانوا في كثير من الأحيان يُعدّون الكورد أناساً أشراراً ومبعث الفتن والفوضى بين الدولتين، وقد دونوا ملاحظاتهم هذه في الرسائل الدبلوماسية التي بعثوها للأوروبيين الأجانب أو الدولة العثمانية⁽⁶⁾.

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة مهمة ألا وهي أن الأصول المشتركة للعرق الكوردي والأعراق الإيرانية الأخرى والتجانس المذهبي مع العثمانيين وصعوبة الحفاظ على التوازن بين الرابطين تسببت إلى حد كبير في ضياع الهوية الذاتية وغياب الشخصية القومية للكورد خلال القرون الماضية. فقد حاول الصفويون مراراً استغلال الرابطة الإيرانية للكورد بغية فرض التشيع عليهم وتقليل نفوذ السلطنة العثمانية بينهم، لكنهم لم يحققوا نجاحاً كبيراً في مساعهم، وبعد أن يُنسوا في ذلك ركزوا جهودهم على تشيع الأسرة الأردنية الحاكمة في سنج، فقد نجحوا في تنصيب خان أحمد خان أميراً على الإمارة بدلاً من والده الذي كان يقاوم بعناد أطماع الشاه عباس الكبير في إمارته⁽⁷⁾. وقدم خان أحمد خان خدمات جليلة للشاه الصفوي وساهم بصورة فعالة

(4) هه مان سه رچاوه، ل 143.

(5) لقمان خيالي، "العقبات في طريق استقلال كردستان" جريدة (الاتحاد) العدد (150)، 23 أيلول 1995، ص 5.

(6) لمزيد من المعلومات عن ذلك ينظر: نه وشيروان مسته فا نه مين، كورد وعه جهه، ج 2، (سه نته ري ليكوليينه وه ي ستراتيجي كوردستان - سليمانى 2005 -)، ل 75-80.

(7) هه مان سه رچاوه، ل 531-532.

في حملاته العسكرية على كردستان العثمانية⁽⁸⁾. لكن المصادر الأردلانية تعطي صورة أخرى للأمير الأردلاني وتحاول إبراز دوره الإيجابي وسعيه المخلص لإعادة مجد أردلان الضائع وملكه المغتصب في سنوات الصراع الدائر بين الصفويين والعثمانيين⁽⁹⁾.

استغل الملوك الصفويون بسالة الكورد وشجاعتهم في القتال وقدراتهم الحربية الفذة لحماية دولتهم من هجمات الأعداء المحيطين بهم ، فقد قام الصفويون بترحيل القبائل الكوردية وخصوصاً الشيعية منها إلى خراسان شرق إيران لتكون سداً منيعاً لصد هجمات السنة من أترك آسيا الوسطى ولاسيما (الأوزبك) الذين كانوا يشنون غارات متواصلة على حدود إيران الشرقية كلما كانت تندلع الحرب بين إيران و الدولة العثمانية⁽¹⁰⁾. فكان الشاه اسماعيل الصفوي أول من قام بتوطين قبيلة كوردية في خراسان وهي قبيلة (قرمانلو) الكوردية التي كانت تحت رئاسة (بيرام بك قرمانلو)، واستمر ابنه الشاه طهماسب على سياسة أبيه حيث قام بتوطين قبائل (زنگنه و جگنی و كلهر) للفرض نفسه. ومن ثم بدأ التهجير الكبير للقبائل الكوردية في عهد الشاه عباس الكبير الذي أمر بتوطين القبائل الكوردية (زعفرانلو) (جمشكرك)، (شادلو، قراجورلو) في منطقة خراسان شرق إيران لاستعمالها في حماية الحدود وصد هجمات الأوزبك المتكررة⁽¹¹⁾. ويبدو أن استيلاء الشاه طهماسب من قبيلة (تكلو) القزلباشية دفع بأحد زعماء هذه القبيلة (أولامه تكلو) أن يفر من إيران ويلتجأ إلى السلطان العثماني الذي أحسن ضيافته وعهد إليه إمارة بدليس التي كانت يحكمها حتى تلك الأونة أسرة شرفخان الكوردية التي اتهمت ظلاماً بالتبعية والتباطؤ للشاه طهماسب الصفوي⁽¹²⁾.

وهنا يلتبس المرء بوضوح تكتيك ملحوظ في السياسة الطائفية للملوك الصفويين باتجاه جذب أمراء الكورد نحو إيران و تقوية الرابطة الإيرانية بينهم بهدف إبعادهم عن الدائرة السنوية العثمانية. فقد أسند الشاه طهماسب إلى شرفخان إمارة بدليس ومنصب أمير الأمراء والقائد العام لجميع قوات أمراء كردستان بعد أن تمكنت قوات الشاه من إجبار (أولامه تكلو) والقوات العثمانية المرافقة له على الفرار من بدليس. ويبدو أن الصورة معاكسة تماماً في الجانب العثماني فقد سعى السلطان سليمان القانوني إلى كسب ود قادة القزلباش من ذوي الأصول التركية وتحريضهم ضد البلاط الصفوي بغية القضاء على حكم الصفويين أو اقتطاع أذربيجان من إيران. ونتيجة لهذا الصراع الدائر بين الجانبين على منطقة إمارة بدليس أن تشرد أسرة شرفخان ولجأوا إلى الدولة الصفوية، وخلال فترة مكوث الأسرة هناك ولد وترعرع الأمير الصغير (شرفخان البدليسي) في البلاط

⁽⁸⁾ لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ستيفن هيميسلي لوتكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر خياط، ط3 (بغداد - 1962) ، ص 45.

⁽⁹⁾ لمزيد من التفاصيل عن ذلك ينظر: ماه شهرفخانم مهستوردي كوردستاني، ميژووي نه رده لان وهرگيران: حهسه ن جاف و شكور مستهفا، ج1 (وهزارتي رؤشنييري - بهغداد - 1989)، ل ل 51-70.

⁽¹⁰⁾ جوناتان - سي راندل، كوردستان يان كلوني نه ته وهيهك، دواي نه وهموو زانيارايانه ليبوردي جي؟ وهرگيران خه سره و شالي، (وهزارتي رؤشنييري - سليمانى - 2003)، ل 44.

⁽¹¹⁾ لمزيد من التفاصيل عن تهجير القبائل الكوردية إلى خراسان. ينظر: كلیم الله توحدي، حرکت تاريخي کرد به خراسان دفاع از استقلال ايران، ج1، 2ج، (مشهد - 1371 ه. ش)، ص ص 14-28.

⁽¹²⁾ شرفخان البتليسي، شرفنامه، ص ص 390-404.

الصفوي 1543 . وقد تعلم شرفخان الفارسية التي دون بها كتابه عن تاريخ الدول والإمارات الكوردية المشهور بـ (شرفنامه) ⁽¹³⁾.

وبعد تعرض إيران للغزو الأفغاني 1722 و زوال الدولة الصفوية خفت حدة الصراعات والتوترات الطائفية نوعاً ما بين الدولة العثمانية وحكام إيران الجدد من الأفغان السنة ⁽¹⁴⁾، غير أن الحروب والمنازعات ظلت مستمرة بسبب أطماع الدولة العثمانية في التوسع على حساب إيران والرغبة في اقتطاع أجزاء كبيرة منها والحاقها بولاية بغداد، وكذلك بسبب عدم اعترافها بمملكة الأفغان الجديدة في إيران. وفي حينه استوجب العقل والمنطق السليم وربما إقتضت الظروف الجديدة أن يقف أمراء الكورد موقفاً إيجابياً من المواجهة الحربية بين الطائفتين السنييتين (العثمانيين والأفغان) خلال إستعدادهما للمعركة التي انتهت بهزيمة قوات أحمد باشا والي بغداد إثر انسحاب أمراء الكورد وقواتهم من الجيش العثماني ⁽¹⁵⁾. وخلال غزوات (نادرشاه) ⁽¹⁶⁾ الأفشاري (سني المذهب) على الأراضي العثمانية لم يقف أمراء بابان وأردلان ضد الحاكم الإيراني الذي في عهده توقفت عملية التشيع في إيران وقد دعا إلى التفاهم وتقريب مذاهب الدين الإسلامي ⁽¹⁷⁾، وكان معظم أفراد جيشه من البلوش والكورد والأفغان والترکمان الذين كانوا يدينون بالمذهب السني، وكان لنادر شاه معرفة سابقة في التعامل مع الكورد بسبب تجربته السابقة معهم وملازمة بعض الكورد الخراسانيين له لسنوات طويلة عندما كان قاطع طريق وشقياً طريداً في خراسان ⁽¹⁸⁾.

لم تغير أسرة (زند) الكوردية الهوية الشيعية لإيران بسبب تشيع الأسرة أصلاً ورغبة الزنديين في الحفاظ على الخصوصية المذهبية للمجتمع الإيراني بوجه الدولة العثمانية. فقد اتخذ كريم خان زند لنفسه لقب (وكيل الرعية) ⁽¹⁹⁾، وفي ذلك دليل واضح على تمسكهم وحرصهم على ما وجدوها وما توارثوها من خصوصيات متميزة للمجتمع الإيراني. ولا يمكن طيلة

⁽¹³⁾ المصدر نفسه، ص 412.

⁽¹⁴⁾ للإطلاع على الغزو الأفغاني لإيران وأثار هذا الغزو على الدولة العثمانية ينظر: علي شاکر علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، ط1 (نينوى 1985 - ص 173 - 181

⁽¹⁵⁾ اختلفت الآراء حول مغزى انسحاب أمراء الكورد وقواتهم من ساحة المعركة التي أسفرت عن هزيمة الجيش العثماني بالقرب من همدان عام 1726. فقد رأى البعض أن الأفغان وعدوا أمراء الكورد بأنهم سوف يتركون لهم بعض الأراضي الإيرانية في حالة مساعدتهم لهم، بينما ذهب الآخرون إلى الإعتقاد بأن أمراء الكورد فعلوا ذلك لعدم ثقتهم بالدولة العثمانية. ينظر، المصدر نفسه، ص 179 - 180. وينظر أيضاً: ستيفن لوتكريك هيمبيلي، مصدر سابق، ص 132 - 133.

⁽¹⁶⁾ نادر شاه: ولد في كبكان عام 1688 ونشأ في خراسان، إمتحن في مقبيل عمره حرفة رعي الأغنام، ثم عاش فترة من حياته كقاطع الطريق ومن ثم دخل في خدمة حاكم خراسان، وبعد ذلك إلتحق بخدمة الشاه الصفوي طهمااسب الثاني عام 1726. وقد كانت شخصيته مثار حديث الناس فكان عسكرياً موهوباً وشاهاً عظيم الشوكة. فيلاديمير مينورسكي، مختصر تاريخ نادرشاه، تر: نظام الدين محمدعلي (كرکوک - 2008)، ص 10 - 16. وينظر أيضاً، دونالد ولسر، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبدالنعيم محمدحسني، ط2، (دارالكتاب - القاهرة - 1985)، ص 95-97.

⁽¹⁷⁾ ومن المعلوم أنه عقد مؤتمراً لعلماء الدين الشيعة والسنة في مدينة النجف عام 1746 برعاية نادر شاه للتباحث في الأمور التي اختلف عليها المسلمون، وتضمن البيان الختامي للمؤتمر أموراً تتعلق بوحدة المسلمين. ينظر: علي شاکر علي، مصدر سابق، ص 205.

⁽¹⁸⁾ ستيفن لوتكريك هيمبيلي، مصدر سابق، ص 134.

⁽¹⁹⁾ نهوشيروان مستهفا نه مين، سدرچاوهي پيشوو، ل 571.

حكم الزنديين الذي بلغ أربعين عاماً العثور على عمل معين أو خطوة ما تثبت أو تدل على ولائهم واعتزازهم بأصولهم الكوردية. ولم يقتصر تعاملهم مع أمراء بابان وأردلان إلا بالقدر الذي يضمن مصالح الأسر الزندية في حكم إيران⁽²⁰⁾.

المحور الثاني : حركات يقودها أمراء الكورد

بعد مجئ القاجاريين للحكم في إيران عام 1793 بدأت مرحلة جديدة من الصراع بين الدولتين القاجارية والعثمانية. وتزامناً مع هذا الصراع اتسع نطاق التغلغل الأوروبي وصراع النفوذ في المنطقة ولاسيما بين بريطانيا العظمى وروسيا القيصرية في كل من الدولتين⁽²¹⁾. وكذلك شهد الوضع الكوردي حراكاً فوقياً قاده أمراء الكورد للاستئثار بالسلطة المحلية وتحقيق المزيد من الاستقلال الذاتي في شؤون إماراتهم الإقطاعية المتوارثة. وربما كان الأمير الباباني (عبدالرحمن باشا)⁽²²⁾ أول من قاد مثل هذه الحركات بسبب رغبته وحرصه على أن يستقل في حكم إمارته في شهرزور والعمل على توسيع حدودها والخروج عن طاعة المماليك في بغداد، ومن أجل تحقيق هدفه دخل في منازعات وحروب (كُر وفر) مع المماليك وعلى إثر ذلك فقد كرسي عرشه أكثر من مرة ثم كان يستيعدها بمساعدة القاجاريين الذين دفعتهم أطماعهم القديمة في إقتطاع منطقة شهرزور إلى مؤازرة البابانيين المعارضين للحكم العثماني والولاية المماليك في بغداد⁽²³⁾.

ولابد من الإشارة إلى أن محاولات أمراء الكورد لم تندرج بأي حال من الأحوال ضمن حركات أو ثورات قومية هادفة إلى تغيير جذري لواقع معين، ولم تكن تستند إلى وعي جماهيري غاياته التحرر من الاستعباد والاضطهاد. ولاننسى أن مساعي أمراء الكورد جاء في أغلب الأحيان كرد فعل لسياسات الحكومتين القاجارية والعثمانية في القرن التاسع عشر، فخلال هذا القرن شهد الوضع العام في الدولتين تغييرات وتحولات كبيرة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي نتيجة الاحتكاك المباشر بالتمدن والتقدم الأوروبي العظيمين والتحدي لمحاولات التوغل من جانب القوى الاستعمارية الرامية لفرض هيمنتها على

(20) للإطلاع على موقف الزنديين من الأردلانيين والبابانيين. ينظر: مهستوهي كوردستاني، سهرچاوهي بيئشو، ل 110 – 140.

(21) من المعلوم أن روسيا القيصرية خاضت حروباً دامية مع كل من إيران والدولة العثمانية وذلك من أجل تحقيق استراتيجية قياصرة الروس في الوصول إلى المياه الدافئة، بينما حاولت بريطانيا بطرق أخرى فرض هيمنتها وتوطيد نفوذها في أراض الدولتين ومنافسة روسيا بكل قوة ومنعها من التوسع في المنطقة، ولم ينتهي هذا الصراع بين روسيا وبريطانيا إلا بعد عقد معاهدة عام 1907 التي بموجبها حسم الصراع بين الطرفين وقسمت إيران إلى مناطق النفوذ بينهما. لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع. ينظر: كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، (بغداد - 1985)، ص 32-73. وينظر أيضاً: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مجلد 2، (مؤسسة فيصل - استانبول - 1990)، ص 9-55.

(22) عبدالرحمن باشا الباباني: هو ابن محمود بن خالد بن بكر بن سليمان به به أحد مؤسسي الإمارة البابانية. تولى الإمارة عام 1789 وتبعاً من أقوى أمراء البابانيين فقد خاض حروباً كثيرة في سبيل الاستئثار بالسلطة في إمارته بعيداً عن تدخلات الترك و حكام المماليك في بغداد، فقد كرسي الإمارة أكثر من مرة لكنه بمقدرته الحربية والدبلوماسية كان يسترده بسرعة. توفي عام 1813. لمزيد من الاطلاع عن هذه الشخصية. راجع:

محمد همد حههه باقى، ميرنشىنى نهردهلان بابان سوران له به لگه نامه كاني قاجاريدا، ج 1، (دهزگای ناراس - ههولير - 2002)، ل 42-52

(23) لمزيد من التفاصيل عن حركات عبدالرحمن باشا الباباني. راجع: محه مهه نه مين زهكى بهگ، تاريخى سليمانى وه ولاقى، ج 2، (بنكهى زين -

سليمانى - 2006)، ل 72-95.

المنطقة. لسوء الحظ تزامن جهود أمراء الكورد لنيل الاستقلال في حكم إماراتهم المتوارثة مع برامج الإصلاحات الواسعة والخطط التي أعدتها الدولة العثمانية للتغلب على حالة الضعف التي انتابها منذ عقود طويلة لأسباب وعوامل ذاتية وموضوعية⁽²⁴⁾.

في الواقع لم تكن محاولات عبدالرحمن باشا بابان 1806-1813 للحفاظ بحكم إمارته ثورة قومية نابغة من وعي شعبي و جماهيري، بل مجرد حركات وصولات لاستعراض القوة والغلبة كانت الغاية منها بالدرجة الأولى إجبار السلطة العثمانية على إقرار حكم الإمارة له، ثم أن فراره إلى كنف القاجاريين بعد كل هزيمة عسكرية أفقدته المصداقية والتأييد المعنوي بين البابانيين⁽²⁵⁾. ونفهم من ذلك أن حركات الأمير الباباني عبدالرحمن باشا لم تأت بشيء جديد مغاير لما قبله ولم تغير من الواقع السائد شيئاً يذكر، فقد ظل المجتمع الكوردي كما كان عليه من قبل محافظاً بتركيبته الطبقية (الإقطاعية المتوطنة) (الرعيوية المتنقلة) وملتزماً بثنائية النمط الانتاجي (المحاصيل الزراعية – الثروة الحيوانية) في حياته الاقتصادية⁽²⁶⁾. وذلك لأن هذه الحركات لم تكن نتيجة لتحولات اقتصادية واجتماعية مؤثرة، وإنما كانت مجرد أعمال وبطولات بهلوانية عكست طموحات شخصية ظلت قليلة الأثر ومحدودة الأثر، ولم تخطب يوماً إرادة وحماسة الناس جميعاً، لذلك لم تتحول حركاته إلى صيحة دوية لإيقاظ الكورد من سباته أو سبباً لتبلور فكرة القومية لدى أبناء المجتمع الكوردي.

وكذلك الحال بالنسبة لحركات الأمير السوراني (محمد الأعور- باشا كوره)⁽²⁷⁾، فقد تهيأت له ظروف مناسبة لكي يظهر بمظهر البطل الكوردي المنتظر، فمن جهة زالت سلطة المماليك في بغداد ولجأ قسم من المماليك إلى راوندوز للوقوف إلى جانب الأمير السوراني بغية الانتقام من السلطة العثمانية واسترداد بغداد من جديد⁽²⁸⁾، ومن جهة أخرى انشغلت الدولة العثمانية بالحروب تارة مع روسيا القيصيرية وتارة أخرى مع محمد علي باشا والي مصر الذي استقل عن الدولة العثمانية وأراد

⁽²⁴⁾ بدأت حركة الإصلاحات (التنظيمات) في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان مصطفى الثالث 1757-1774. وقد إقتصرت في بداية الأمر على الميدان العسكري ثم إتسعت لتشمل كافة الميادين الإدارية والإقتصادية والاجتماعية في القرن التاسع عشر. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع: شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، (دار ابن كثير - دمشق - 2001)، ص 251-294 إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916 (مطبعة جامعة الموصل - 1983)، ص 177-214.

⁽²⁵⁾ محمد مهدي حمهه باقى، سهرچاوهى پيشوو. ل 47 - 52.

⁽²⁶⁾ جه عفه رعه لى، سهرچاوهى پيشوو. ل 139 - 140.

⁽²⁷⁾ محمد باشا كوره (الأعور): هو ابن مصطفى بك بن أوغوز بك تولى حكم الإمارة ولد في راوندوز عام 1783. تولى شؤون الإمارة بعد والده عام 1813. بذل اهتماماً كبيراً بتوسيع إمارته وذلك بضم مناطق كثيرة كانت حتى ذلك الوقت لم تكن تابعة لإمارة سوران. وأنحق العمادية مركز إمارة بادينان بمركز حكمه في راوندوز. وبدأ في حملاته التوسعية باتجاه أراضي إمارة بوتان، كما إمتد نفوذه بين القبائل الكوردية في مناطق موكريان مما أثار الحكومة القاجارية في إيران. وسعى بإخلاص لتكوين إمارة كوردية مستقلة بالتعاون مع إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا حاكم مصر الذي سيطر على بلاد الشام وتهيأوا للزحف على الأناضول للقضاء على الدولة العثمانية في عهد السلطان العثماني 1809 - 1839. ينظر: حسين زني موكريانى، موجز تاريخ أمراء سوران تر: محمدملا عبدالكريم، (بغداد - 1967)، ص 10 - 60 "محمد مهدي حمهه باقى، سهرچاوهى پيشوو، ل 143-149.

⁽²⁸⁾ عماد عبدالسلام رؤوف، إمارة سوران والشأن العراقي سنة 1832 (وثائق تاريخية مهمة) ينظر موقع (الصوت الآخر) على الأنترنت:

تكوين دولة قوية في المشرق العربي⁽²⁹⁾. لكن خطوات أمير راوندوز لتقوية إمارته وتوسيعها كانت منذ البداية مبنية على البطش والقسوة وقهر مناوئيه بدون رحمة. فقد أساءت لنفسه كثيراً بارتكابه المجازر بحق الطائفة اليزيدية والنصارى من السريان، وحملاته العسكرية في منطقة بادينان والحقاق إمارة بادينان قسراً بمركز حكمه في راوندوز⁽³⁰⁾، الأمر الذي تسبب في انعدام الثقة بينه وبين أهالي المنطقة الذين كانوا من قبل ينظرون إليه باعجاب. وربما وقع البعض في الخطأ حينما ذهبوا إلى الاعتقاد بأن فكرة الوحدة الكوردية هي التي دفعت بأمير محمد أن يتجه نحو المناطق الكرمانجية ويسعى لضم إمارة بادينان إلى إمارته ويقطع بعض المناطق من إمارة بوتان، غير أن الغرض الرئيس لهذا التوجه جاء نتيجة التنسيق المتبادل بينه وبين إبراهيم باشا قائد القوات المصرية في الشام الذي كان يعد العدة للزحف على الأناضول لمواجهة الجيش العثماني، وكما هو معلوم كانت هناك ثمة اتصالات وثيقة بين أمير محمد والقائد المذكور بشأن كيفية مواجهة العثمانيين. ولكن لو كان لأمر محمد فكرة الوحدة الكوردية كما ذهب إليه البعض لكان من الأفضل له أن يبدأ بضم إمارة بابان التي كانت تعاني حينذاك من الضعف والانقسام بسبب التنافر والصراع بين أمرائها، وكان بمقدوره أيضاً الاطمئنان إلى مستقبل حكمه ومشروعه الوحدوي من خلال كسبه قوة بشرية إضافية من السورانيين. حيث أن اختلاف اللهجة التي كانت باعثة على التنافر والتفرقة من جهة، والقسوة المتبعة من قبل السورانيين في إدارة منطقة بادينان من جهة أخرى انقلب وبالأعلى أمير محمد في وقت الشدة، فقد انضمت القبائل الباديانية إلى جانب الجيش العثماني الذي توجه لمحاربة أمير محمد والاستيلاء على راوندوز.

ربما ساهمت الجهود العظيمة لأمر (بدرخان)⁽³¹⁾ التي بذلها خلال سنوات توليه إمارة بوتان في إيقاظ الكورد من سباته الطويل. فمن خلال أعماله العظيمة التي أنجزها جعل من المرء الكوردي يتحسس هويته القومية نوعاً ما ويتبصر لواقعه ويشعر بوجود التفرقة بينه وبين الحكام الترك الذين كانوا يعاملون الكورد باستعلاء وتكبر فارغين. ولكن على الرغم من اهتمام بدرخان بالناحية التعليمية والصناعية وتكوين (حلف مقدس)⁽³²⁾ بين القبائل الكوردية⁽³³⁾، إلا أن فكرة القومية والذود عنها

(29) شمعون دنحو، "إمارة سوران ودورها في طرد اليزيدية والسريان"، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد (7)، 2006، ص 142-143. جمال نه به ز: الأمير الكوردي مير محمد مير كور، ص 181.

(30) لمزيد من المعلومات عن سقوط الإمارة الباديانية بيد قوات الأمير محمد. ينظر: صديق الدموجي، إمارة بهدينان، (الموصل- 1952)، ص ص

45-50. وينظر أيضاً: محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية، (مطبعة الجمهورية - الموصل - 1969)، ص - ص 104 - 105.

(31) بدرخان: هو القائد الكوردي ابن عبدالله خان باشا ولد بمدينة آمد (ديار بكر) عام 1802. تسلم مقاليد الحكم في الإمارة عام 1822، عمل على توسيع إمارته بحيث شمل مناطق واسعة بين مهاباد وراوندوز وان وسنجان و جزيرة بوتان، وضع بدرخان برنامجه لإعلان استقلال إمارة بوتان، لكن بعد خيانة قريبه يزدانشير ومحاصرة القوات العثمانية له في قلعة (أروخ) فشل في تحقيق برنامجه القومي و نفته السلطات العثمانية إلى جزيرة (كريت) تموز عام 1847. ومن ثم أعادته الحكومة إلى دمشق عام 1866 وفيها توفي عام 1869. لمزيد من التفاصيل عن ذلك. راجع: مالمسيمانز، البدرخانيون في جزيرة بوتان وثائق جمعية العائلة البدرخانية، تر: دلاور الزنكي و كولبهار بدرخان، (بيروت - 1998)، ص ص 48 - 52 "صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية نشاطها السياسي والثقافي 1900 - 1950، ط 1، (دار العربية للموسوعات - بيروت - 2007)، ص 18.

(32) يذكر أنه انضم إلى هذا الحلف المقدس أحد أمراء أردلان. ينظر: ن. نا. خالفين، خهبات له رى كوردستاندا (موسكو - 1963)، ل 55.

(33) بله ج شيركو، القضية الكوردية، (القاهرة - 1930)، ص ص 40-42.

ظلت غائبة ولم تصل بعد مرحلة التبلور، ولم يتمكن بدرخان من هدم كيان العشيرة واضعاف الولاء لها فقد ظلت القبيلة وتقاليدها الاجتماعية قوية ومؤثرة كما كانت من قبل⁽³⁴⁾.

المحور الثالث : شخصيات دينية تتولى الزعامة الكوردية

مع انتهاء النصف الأول من القرن التاسع عشر أضحلت الإمارات الكوردية وغابت معها شمس (الاستقلال الذاتي) التي أضاءت ديار الكورد على مدى قرون طويلة. وبذلك فقد المجتمع الكوردي سلطة متوارثة حفظت له خصوصيته المتميزة من قبل أن يكون له وطنه القومي أو يتبلور لديه فكرة القومية بمعانيها المعاصرة، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى تمسك الفرد أكثر من ذي قبل بمنظومة القبيلة وتقاليدها فأصبحت القبيلة (الوحدة الجغرافية والاجتماعية الصغيرة) بالنسبة للفرد بديلاً للوطن وهويته المميزة. ولكن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ونتيجة لعوامل ذاتية وموضوعية كثيرة شهدت الزعامات الكوردية تغييراً جوهرياً، فقد حل الشيوخ المنتمون للأسر الدينية محل الأمراء الإقطاعيين في قيادة الثورات والانتفاضات التي كانت تحدث في كردستان للمطالبة بالحقوق القومية⁽³⁵⁾. ويبدو أن للطرق الصوفية المنتشرة في كردستان أثراً كبيراً وفعالاً في التفاف الناس حول الشخصيات الدينية وبروز زعامة دينية كوردية لم تتجاوز حدود وأطر القبيلة فحسب بل أنها اخترقت الحدود فأحتشدت لنصرتها آلاف من الكورد الإيرانيين الناقمين على الحكم القاجاري الظالم. فقد قاد الشيخ عبيدالله النهري ثورة كبيرة لخلص الكورد من الجور والاضطهاد الإيراني والتركي مستغلاً مكانته الدينية والاجتماعية لتحريض الكورد على القيام ضد السلطة الاستبدادية في كلا البلدين⁽³⁶⁾، ويتفق معظم الباحثين والمؤرخين على أن الثورة التي قادها الشيخ عبيدالله النهري هي ثورة قومية بمعنى الكلمة كانت تهدف إلى استقلال كردستان⁽³⁷⁾. ويبدو أن عوامل عديدة خارجية وداخلية تضافرت لقيام هذه الثورة في منطقة شمدينان وفي هذا الوقت بالذات، فقد أصرت الدول الأوروبية الموقعة على نص معاهدة برلين على أن تلزم الدولة العثمانية بإجراء إصلاحات لصالح الأرمن في ست ولايات شرقي الأناضول على حساب الكورد القاطنين فيها منذ آلاف السنين⁽³⁸⁾، كما نصت المعاهدة ذاتها على استقطاع منطقة (قوتور) وإحاقها بإيران⁽³⁹⁾. وعلاوة على ذلك كان لسوء الوضع العام الذي كان يعيشه المجتمع الكوردي آنذاك أكبر أثر في إندلاع الثورة والتفاف الناس حول زعامة الشيخ لها، فقد إنتشرت المجاعة بشكل رهيب نتيجة للتحط وقلة المحاصيل الزراعية إثر طغيان موسم الجفاف وقلة الأمطار عام 1880، وسوء معاملة

⁽³⁴⁾ ماريوان وريا قانيع، " ناسيوناليزمي دورمهودا، گۆڤاری (رههه ند)، ژماره 9-10، ل 70 - 72.

⁽³⁵⁾ جه عفه رعه لی، سه رچاوهی پيشوو. ل 151-156.

⁽³⁶⁾ نه بو بهكر عه لی، ناسيوناليزم وناسيوناليزمی كوردی ديدیكى نیسلامی هاوچهرخ، بهرگی بهكهم، (چاپخانهی رۆژنه لات - ههولیر - 2008)،

ل 199.

⁽³⁷⁾ باسیل نیکتین، الكرد، (منشورات مجلة آسو- 1993)، ص 186.

⁽³⁸⁾ تیلی امین علی، حركة الشيخ عبيدالله النهري في الوثائق البريطانية، ينظر الموقع الإلكتروني على الأنترنت:

http://bahoz.hostoi.com/obeydulah_nehry.html

⁽³⁹⁾ لقمان خیالی، " ثورة الشيخ عبيدالله النهري قراءة وملاحظات " جريدة (الاتحاد)، العدد (182) 4 آيار، 1996، ص 10.

الموظفين الأتراك وجباة الضرائب للفلاحين الكورد والقرويين آنذاك⁽⁴⁰⁾ ، كما أن الوعي القومي المنتشر بين الأرمن وحماستهم للدفاع عن قوميتهم ووطنهم أيقظت أبناء الكورد أيضاً وبعث فيهم دافعاً قوياً لتقييم بوجه مضطهديهم.

إن الثورة الكوردية التي حمل لواءها النهري وإن كانت ثورة قومية – دينية شارك فيها معظم أتباع ومريدوا الشيخ في إيران والدولة العثمانية، غير أنها لم تكن ثورة ذات قاعدة جماهيرية واعية ومنظمة، إذ كانت العقلية العشائرية والنزعة الفردية المتسلطة طغت على واقع الثورة وديناميكية الأحداث فيها . لكن يمكن القول أن هذه الثورة قد مهدت الأرضية المناسبة لبث مزيد من الوعي القومي وتجسيد الفكرة القومية بين أبناء المجتمع الكوردي، إذن يمكن اعتبار أن هذه الثورة كانت خطوة أولى لنقل الحركة الكوردية من مرحلة (الحس القومي) إلى مرحلة (الوعي القومي)⁽⁴¹⁾ ، لكون الثورة وقعت بعد أن تحسس القائلون بها بكورديتهم وتمييزهم عن الغير⁽⁴²⁾ . ومع ذلك فقد ظل الحس القومي الذي كان دافعاً لحدوث الثورة مقتصرأً بالدرجة الأولى على زعامة الثورة ولم يأخذ طابعاً جماهيرياً⁽⁴³⁾ . ولابد من الإشارة إلى أن الصراع الشديد بين كل من بريطانيا وروسيا القيصرية ومصالحهما في كل من إيران والدولة العثمانية قد انعكست سلباً على الحركة القومية الكوردية، فقد حاول البريطانيون بعناد حماية الدولة العثمانية من السقوط النهائي وعدم وقوعها فريسة سهلة بيد الروس، وبناءً على ذلك وقفوا بقوة ضد مشروع الشيخ النهري الرامي لإنشاء (کردستان الكبرى)⁽⁴⁴⁾ ، كما أن روسيا القيصرية التي كانت حريصة على حماية مصالحها في إيران لم يرق لها قيام دولة كردستان المستقلة⁽⁴⁵⁾ .

وبعد إخفاق ثورة الشيخ عبيدالله النهري وحتى صدور العدد الأول من جريدة (کردستان) في القاهرة بإشراف مقداد مدحت بدرخان عام 1898 لم تكن هناك تطورات إيجابية تساعد أو تمهد السبيل لتبلور فكرة القومية الكوردية، بل على العكس من ذلك شهدت هذه المدة تراجعاً وانحساراً للمد القومي الذي أحدثته ثورة النهري⁽⁴⁶⁾ ، فقد اتبع السلطان عبدالحميد الثاني استراتيجية (الجامعة الإسلامية) التي كانت تهدف إلى تقوية الولاء للسلطة العثمانية تحت ستار الإخلاص للدين وتقوية دعائم الأخوة الإسلامية بين الشعوب المسلمة الخاضعة للسلطة العثمانية والعمل بجد لمحاربة النزعة القومية التي أخذت بالانتشار بعد سنوات من تحقيق الوحدة القومية في كل من ألمانيا وإيطاليا عام 1870. ولاننسى أن مخاوف السلطة

(40) نه حمهد عوسمان نه بويه كر، كوردو كوردستان له كومه له ووتاريكي ميژوو بييدا، وهركي راني: نازاد عوبيد سالح، ج1 (هه وئيير - 2005)، ل 9.

(41) جه عفه رعه لي، سه رچاوهي پيشوو. ل 167-168.

(42) مهريوان وريا قانيح، ناسيوناليوم و سه فهر كورد له دياسپورا، (ناوهندي رهه ند- سليمانى - 2005)، ل 69.

(43) جه عفه رعه لي، سه رچاوهي پيشوو. ل 167-168.

(44) محه مهده حه مه باقى، شورشى شيخ عوبه ييدولاي نه هري (1880) له به لگه نامه ي قاچارى دا، ج1 (چا پخانه ي وهزاره ي په روه رده - هه وئيير - 2000)، ل 217-219.

(45) للإطلاع على موقف الروس من ثورة الشيخ عبيدالله النهري . راجع: هه ستياركه مال كوردي، سياسته ي روسيا ي قه يسهري به رامبه ر به

كورد 1850-1914 (نه كاد يميا ي هوشيارى - سليمانى - 2011)، ل 122-158 "نبيل زكي، الأكراد - الأساطير والثورات و الحروب(القاهرة - 1991)، ص 39" تبلى أمين علي، مصدر سابق. ينظر الموقع الإلكتروني على الأنترنت:

http://bahoz.hostoi.com/obeydulah_nehry.html

(46) جه عفه رعه لي، سه رچاوهي پيشوو. ل 170.

العثمانية من انتشار الفكرة القومية بين الكورد وخصوصاً بعد قيام ثورة النهري دفع بأصحاب القرار في الباب العالي وفي مقدمتهم السلطان عبدالحميد إلى العمل بقوة للحيلولة دون إنتشار الفكرة القومية بين الكورد، فقرر السلطان تشكيل الفرسان الحميدية من أبناء القبائل الكوردية وذلك لتحقيق غايتين أساسيتين : الأولى – وضع العقبات في طريق نمو فكرة القومية الكوردية التي أخذت تتبلور شيئاً فشيئاً وذلك من خلال تقوية النعرات العشائرية بين الكورد وتغذية الخلافات القبلية بينهم . الثانية- استعمال الكورد المنخرطين في أفواج الفرسان الحميدية لمحاربة الأرمن وإفشال مخططاتهم المدعومة من قبل القوى الأوروبية⁽⁴⁷⁾ ، وفي حينه كان الأرمن يطالبون السلطة العثمانية بإصلاحات سياسية وقومية لصالحهم في شرق الأناضول حسب ما جاءت في معاهدة برلين عام 1878⁽⁴⁸⁾.

يمثل انتشار جريدة كردستان وظهور شريحة المثقفين (الانتلجنسيا) بين الكورد انعطافاً كبيراً في تاريخ الثقافة الكوردية، حيث وقع على عاتق هؤلاء الترويج لفكرة القومية في المراحل القادمة⁽⁴⁹⁾. وقد تزامن هذا التطور الإيجابي لصالح فكرة القومية مع الصراع الاستعماري بين الدول الأوروبية التي كانت تطمح في السيطرة على ممتلكات الرجل المريض (الدولة العثمانية) هذا من جهة ، ومن جهة أخرى تزامن هذا التطور مع بروز جمعية تركيا الفتاة(جون ثرك) المعارضة لحكم السلطان عبدالحميد الثاني. تأثر أنصار هذه الجمعية بالفكر الليبرالي الغربي والأفكار الحرة التي جاءت بها الثورة الفرنسية، وكذلك إنبهروا فيما بعد بفكرة الوحدة الألمانية والإيطالية⁽⁵⁰⁾. في ظل أجواء وظروف كهذه أخذت الفكرة القومية بمعانيها المعاصرة تنتشر بين نخبة من المتعلمين والمثقفين الكورد مما ترك أثر كبير في تأسيس جمعيات ومنظمات سياسية وثقافية كوردية ولا سيما بعد وقوع الانقلاب العثماني الذي أطاح بحكم السلطان عبدالحميد الثاني عام 1908-1909⁽⁵¹⁾.

لم تظهر بوادر تبلور الفكرة القومية في كردستان الإيرانية إلا في وقت متأخر جداً قياساً بمثيلتها في كردستان العثمانية، فلا نجد بعد ثورة النهري حركة أو انتفاضة كوردية تحدث للمطالبة بالحقوق القومية، وحتى في تلك الأونة لم يكن بالإمكان العثور على مثقف يكتب أفكاره وآرائه باللغة الكوردية أو شاعر ينظم قصيدة بالكوردية أو صحيفة كوردية منشورة⁽⁵²⁾ ، وعلى الرغم من ذلك شاركت شخصيات كوردية في الثورة الدستورية 1905 – 1906 إيماناً بالحرية وضرورة مقاومة الاستبداد القاجاري، غير أن أغلبية الشعب الكوردي كانت بعيدة كل البعد عما كانت تجري في طهران من تطورات وأحداث خلال الثورة

(47) جاستن ماكارتي وآخرون، التمرد الأرميني في وان، ط1، (الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت)، ص ص 84-86 "مامه ندر رۆژه، نهرمه نوسايد - سه دههيك له په يوه نديه كانی كوردونه رهن، ج1، (مه نيه ندى كوردونوجی - سليمانی - 2008)، ل 90.

(48) لمزيد من التفاصيل عن الفرسان الحميدية و دورها في مذابح الأرمن ينظر: كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، تر/ محمد الملا عبدالكريم، ط2، (بغداد- 1984)، ص ص 235-250.

(49) نبيل زكي، مصدر سابق، ص 41.

(50) عثمان علي، الحركة الكردية المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية، ط2، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا - 2008)، ص 160 "إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، (الرياض- 1996)، ص ص 203-207.

(51) لمزيد من التفاصيل عن الجمعيات والمنظمات الكوردية التي تشكلت بعد الإنقلاب العثماني عام 1908. ينظر: حامد محمود عيسى، القضية الكوردية في تركيا، ط2، (مكتبة مدبولي- القاهرة - 2002)، ص ص 82-89.

(52) جرجيس فتح الله، يقظة الكرد تاريخ سياسي 1900-1925، ط1، (دار آراس- أربيل- 2002)، ص 28.

الدستورية وليس هذا فحسب، بل أن عدداً من القبائل الكوردية في مقاطعتي كرمناشاه وكردستان أعلنت مناهضتها للثورة الدستورية من خلال تاييدها لحركة أبي الفتح ميرزا الملقب بـ (سالار الدولة) التي كانت تعادي الحكومة الدستورية في طهران⁽⁵³⁾. ولايعزو سبب ذلك إلى أن السلطة القاجارية قد أحسنت التعامل مع الكورد في تلك المرحلة، وإنما يرجع سبب ذلك إلى طموحات شخصية لرؤساء القبائل الكوردية الذين دفعتهم مصالحهم الضيقة للوقوف إلى جانب سالار الدولة الذي كان يدهي أحقيته بالعرش القاجاري آنذاك.

ولابد من الإشارة إلى أن فكرة القومية بين الكورد قد تبلورت تماماً نتيجة رد فعل معاكس للحركة القومية التركية التي تسلمت مقاليد الحكم في الدولة العثمانية منذ عام 1908. فقد آمنت جمعية الاتحاد والترقي بالفكرة الطورانية واتبعت سياسة تترك العناصر الأخرى في البلاد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى⁽⁵⁴⁾، ومن ثم جاء الكماليون الذين اتبعوا السياسة ذاتها وبأسلوب أكثر وحشية وهمجية في التعامل مع القومية الكوردية المغلوبة على أمرها. فقد استغلت تركيا مساومة الحلفاء معاهلي حساب الكورد، فضربت الأخوة الإسلامية عرض الحائط ورفضت إقرار الحقوق القومية للكورد، وأخمدت ثوراتهم بالنار والحديد بين 1925-1937 ورفضت الاعتراف بوجود قومية كوردية في تركيا وعدت لهم أترك جليلين بعد أن حظرت عليهم التكلم بلغتهم ومنعتهم من ارتداء ملابسهم القومية، وطيلة المدة الواقعة بين الحربين والحرب الباردة كانت الظروف الدولية ومصالح القوى الكبرى تصب في مصلحة تركيا الكمالية وتعارض تطورات وأمال القومية الكوردية⁽⁵⁵⁾. وفي ظل هذه الظروف الصعبة تجذرت فكرة القومية في أعماق الكورد بعد أن واجهت بثبات تحديات صعبة كادت أن تقضي عليها تماماً، غير أن إيمان الشعب الكوردي في تركيا بقضيته العادلة واستعداداته للدفاع عنها وتحمله المعاناة وصبره الطويل في المواجهة ساهمت إلى حد كبير في الحفاظ على انتعاش فكرة القومية وحمايتها من الضمور والانحلال.

والذي يدعو للدهشة والاستغراب هو أن الطغاة غالباً ما يتعلمون دروس القسوة والتنكيل من البعض، فقد اتبع رضا شاه 1921-1941 سياسة مماثلة لسياسة الكماليين في إيران والتي ارتكزت على مركزية الحكم وحرمان الشعوب الإيرانية من حقوقها والقضاء على حركاتها المطالبة بالمساواة والحرية ففضى على حركات سمكو الكوردية 1921-1930⁽⁵⁶⁾. وعداً اللغة الكوردية لهجة من لهجات الفارسية، ومنع التعليم بالكوردية في المدارس، كما حرم على الكورد ارتداء الزي القومي الخاص

⁽⁵³⁾ للإطلاع على مساندة القبائل الكوردية لحركة سالار الدولة. راجع: اردشير كشاورز، كرد كرد، چاپ اول (انتشارات طاق بستان - كرمناشاه - 1377 ه.ش)، ص 56-90.

⁽⁵⁴⁾ عثمان علي، مصدر سابق، ص 170-171.

⁽⁵⁵⁾ لمزيد من التفاصيل عن مناوئة الشوفينية التركية للقومية الكوردية خلال عهد مصطفى كمال ورؤساء الأتراك اللاحقين. راجع: إسماعيل بيبيكجي، كردستان مستعمرة دولية، تر: زهير عبدالملك، (دار APEC- استوكهولم- 1998)، ص 31-92. إسماعيل بيبيكجي، دفاعاً عن الأمة الكردية المستعبدة- رسالة إلى اليونيسكو، (مركز عاموده للثقافة الكردية- 2003)، ص 12-30.

⁽⁵⁶⁾ لمزيد من التفاصيل عن حركات سمكو في كردستان الإيرانية. ينظر: حسين مهدهني، كوردستان و ستراييزي نيوده وئله تان، ب 2، (چاپخانهی روزه لات- ههولير- بی سال)، ل 72-128. حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران - دراسة في التاريخ السياسي، ج 4، ط 1، (دار آراس -

بهم انطلاقی من سیاست تجدید البلاد التي كان اتبعها منذ أن أعلن نفسه شاهاً في إيران 1926⁽⁵⁷⁾. وربما الذي ساعد الديكتاتوريات القائمة في كل من تركيا وإيران على اتباع مثل هذه السياسة المقيتة مع الكورد هو موقف المشين للقوى الكبرى حيال القضية الكوردية، إذ تخلى الاتحاد السوفيتي عن مساندته لجمهورية مهاباد الكوردية وسحب قواته في شمال إيران مقابل ضمان مصالح تافهة، فقضت القوات الإيرانية المدعومة من الغرب على الجمهورية الفتية التي هيأت أرضية مناسبة ساهمت كثيراً في تبلور الفكرة القومية بين الكورد في إيران. في الواقع شكلت مواقف القوى الكبرى المناوئة لحقوق الكورد القومية دافعاً قوياً للحكومات المستبدة في كل من إيران وتركيا على الاستمرار في سياساتها العنصرية والعمل على طمس المعالم القومية للشعب الكوردي، من المؤكد أن مثل هذه السياسة والاستمرار عليها رغم تقلبات الظروف والزمان شكلت دافعاً قوياً للكورد لكي يبحث عن هويته القومية ويواجه التحديات ويقاوم بعناد سياسة القمع والحرمان ويتمسك بخصوصيته القومية المميزة.

شهد المجتمع الكوردي خلال القرن الماضي تجارب مريرة مع مختلف الأنظمة في الدول الرئيسية الثلاث التي قسّمت أرض كردستان، فقد جرب الكورد الديمقراطية المزيفة في ظل النظام العلماني المجدد للكمالية المقوتة طيلة القرن المنصرم فلم يجن الكورد من مثل هذا النظام إلا مزيد من الغبن والاضطهاد، وفي ظل النظام العراقي المتعصب (للقومية العربية) بلغ القمع المتبع ضدهم حد الإبادة الجماعية كما رأينا ذلك في مجزرة حلبجة وماتت هذه الفاجعة من حملات الأنفال السيئة الصيت التي كانت الهدف منها هو إبادة العرق الكوردي في العراق، وفي ظل النظام الإسلامي المذهبي في إيران لم يختلف الوضع بالنسبة للكورد عما كان عليه في زمن الأسرة البهلوية، فقد استمر مسلسل المعاناة وهضم الحقوق تحت ستار الأخوة الإسلامية والرابطة الإيرانية المزيفة التي استغلته القومية المتسلطة لتمجيد نفسها على حساب تعاسة وحرمان قوميات الإيرانية الأخرى. ولعل من أخطر ماتواجه الكورد منذ عقود طويلة هو خطر الثقافات المتنوعة للقوميات المتسلطة في الدول الثلاث التي تستند في الأساس إلى برامج ومخططات وضعتها الأنظمة المستبدة غايتها محو الثقافة الكوردية وضرب تطعات هذا الشعب المظلوم.

ومنذ انتهاء الحرب الباردة وحتى الآن يعيش الشعب الكوردي أوضاع جديدة، فقد تمكن الكورد العراقيون من استقلال الوضع العالمي الجديد وإنشاء كيان قومي شبه مستقل، ولكن تداعيات الربيع العربي وانشغال الحكومات العربية بمشكلاتها الداخلية التي أفرزها هذا الربيع المقترن بالصحو الإسلامية أخذت تترك آثارها وأبعادها على الوضع الكوردي، ويبدو أن مصالح القوى الكبرى اقتضت أن تلعب كل من إيران وتركيا دوراً خطيراً في إحياء الصراع الديني (الطائفي) الذي أخذت شعوب المنطقة تنزلق إليه شيئاً فشيئاً، وتحاول الدولتان كلاً حسب إستراتيجيتها وقدراتها الذاتية إستقطاب القوى المؤثرة في الساحة في سبيل توجيه الصراع باتجاه الذي يضمن مصالحها في المرحلة القادمة، وقد بدا واضحاً من المواقف التي تتخذها القيادة الكوردية في إقليم كردستان من الأحداث في سوريا ومجمل الأوضاع الجارية في المنطقة أن الوضع الكوردي يخضع تماماً لتأثيرات طرفي الصراع، ففي الوقت الذي تتطلع تركيا التي تتزعم معسكر السنة في المنطقة لاستقطاب الكورد وتوجيههم ضد المعسكر الشيعي، نجد في المقابل إيران التي تسعى لاستغلال الأصول المشتركة للقومية الكوردية مع الإيرانيين في سبيل إضعاف الدور التركي في المنطقة. ويمكن ملاحظة آثار هذه المنافسة على الوضع الكوردي من خلال الخلافات التي قد تطفو إلى السطح بين حين

(57) للإطلاع على السياسة العنصرية المتبعة من قبل رضا شاه ضد الشعب الكوردي في إيران بين الحربين العالميتين. راجع: ياسين سهردهشتي، كۆماری

مبیلی دیموکراتی کوردستان، (بی شوین - بی سان)، ل 16 - 34 "عثمان علي، مصدر سابق، ص 714 - 717.

وآخر بين الحزبين الرئيسين في إقليم كردستان، لاشك فيه أن مخططات كلا الطرفين تعود بالضرر على آمال القومية الكوردية وطموحاتها وتشكل تحديات خطيرة تعيق إلى حد كبير مسيرة الحركة التحررية للشعب الكوردي .

استنتاج

من خلال دراسة العقبات والتحديات التي رافقت مرحلتي تبلور وتكوين فكرة القومية الكوردية، نستخلص ثمة حقائق واستنتاجات مهمة من أبرزها:

- لا يمكن لفكرة القومية أن تتبلور وتختمر في بيئة اجتماعية وسياسية غير محمية، وأعبارة أخرى ليس من اليسر أن تتبلور الفكرة القومية إن لم تكن هناك دولة قائمة وقادرة على حماية ثقافة الأمة وخصوصيتها القومية.
- بذلت الدولتان الصفوية والعثمانية جهوداً عظيمة لإشغال الكورد بالصراع المذهبي القائم بينهما من أجل استغلال قواهم والاستفادة من قدراتهم القتالية في جولات الحروب الدموية، ولنع الكورد من التحرر أو سد الطريق عليهم للخروج من سيطرتهم وإضعاف الرابطة القومية بينهم، كانت السلطات في الدولتين منهكة دوماً في تأجيج نار العداوة والفتن بين الإمارات الكوردية وأبين القبائل المتنازعة بغية تعزيز وتقوية العصبية القبلية وتمتين الولاءات المحلية بينهم.
- لا ينكر أن الواقع الاقتصادي السائد والحياة الاجتماعية التي كانت يعيشها المجتمع الكوردي إبان عهد الإمارات أوما بعدها لم تساعد ولم تكن مشجعة لتبلور فكرة القومية لدى الإنسان الكوردي حينذاك. فقد أدى شيوع الفقر والامية إلى تمسك الفرد بقبيلته وعدم التفكير فيما وراء ذلك.
- لعبت القوى الكبرى التي اقتضت مصالحها التوغل في دول المنطقة دوراً سلبياً وعائقاً خطيراً للحركة التحرر الكوردية التي في ظلها تبلورت وانتعشت الفكرة القومية، فقد قسم الحلفاء كردستان في اتفاقية سايكس – بيكو عام 1916 وعملوا على تكريس التجزئة بصورة أشع من ذي قبل من خلال مساوماتهم وتشجيعهم للدول الإقليمية في سياساتها ومخططاتها الرامية للقضاء على ثورات الكورد وحبس الحرية عنم واستبعادهم. وهاهي الآن تحاول تمرير مخططاتها والعمل على تمزيق المنطقة من خلال إحياء الصراع الطائفي المقيت بين المسلمين، وحتماً ستكون لمستجدات الوضع الجديد آثار وتداعيات على القضية الكوردية ومخاطر جدية على مسيرة تبلور وتكوين فكرة القومية بين الكورد.

المصادر

- ابراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني 1516-1916 (مطبعة جامعة الموصل - 1983)
- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، (الرياض- 1996)
- إسماعيل بيشيكي، دفاعاً عن الأمة الكردية المستعبدة- رسالة إلى اليونسكو، (مركز عاموده للثقافة الكردية- 2003)
- إسماعيل بيشيكي، كردستان مستعمرة دولية، تر: زهير عبدالمالك، (دارAPEC- استوكهولم- 1998)
- باسيل نيكيتين، الكرد، (منشورات مجلة أسؤ- 1993)
- بله ج شيركو، القضية الكوردية، (القاهرة - 1930)

- جاستن ماکارتي وآخرون، التمرد الأرميني في وان، ط1، (الدار العربية للعلوم ناشرون- بيروت)
- جرجيس فتح الله، يقظة الكرد تاريخ سياسي 1900-1925، ط1، (دار آراس- أربيل- 2002)
- جمال نه به ز: الأمير الكوردي مير محمد مير كور
- حامد محمود عيسى، القضية الكوردية في تركيا، ط2، (مكتبة مذبولى- القاهرة - 2002)
- حسن كريم الجاف، الوجيز في تاريخ إيران - دراسة في التاريخ السياسي، ج4، ط1، (دار آراس - أربيل - 2008)
- حسين زني موكريانى، موجز تاريخ أمراء سوران تر: محمدالملا عبدالكريم، (بغداد - 1967)
- دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبدالنعيم محمدحسين، ط2، (دارالكتاب - القاهرة - 1985)
- ستيفن هيميسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر: جعفر خياط، ط3 (بغداد - 1962)
- شاكور صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، (دار البصري - بغداد - 1966)
- شرفخان البديسي، شرفنامه في تاريخ الدول والإمارات الكردية، ج1، تر: محمد علي عوني، ط2، (دار الزمان-2006- دمشق)
- شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، (دار ابن كثير - دمشق - 2001)
- صديق الديملوجي، إمارة بهدينان، (الموصل- 1952)
- عثمان علي، الحركة الكردية المعاصرة دراسة تاريخية وثائقية، ط2، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا - 2008)
- علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني، ط1 (نينوى - 1985)
- فيلاد يميز مينورسكى، مختصر تاريخ نادرشاه، تر: نظام الدين محمدعلي (كركوك - 2008)
- كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، (بغداد - 1985)
- كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، تر/ محمد الملا عبدالكريم، ط2، (بغداد- 1984)
- مالمسيماز، البدرخانيون في جزيرة بوتان وثائق جمعية العائلة البدرخانية، تر: دلاور الزنكي و كولبهار بدرخان، (بيروت - 1998)
- صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية نشاطها السياسي والثقافي 1900 - 1950، ط1، (دار العربية للموسوعات- بيروت- 2007)
- محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية، (مطبعة الجمهورية - الموصل - 1969)
- نبيل زكي، الأكراد - الأساطير والثورات والحروب، (القاهرة - 1991)
- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سلمان، مجلد 2، (مؤسسة فيصل - استانبول - 1990)
- جميل موسى النجار، "معاهدة أرضروم الثانية بين الدولة العثمانية وإيران دراسة لعلاقات بين الدولتين خلال حقبة تبلور المعاهدة 1843-1848" مجلة (جامعة كركوك)، العدد (2)، المجلد (6)، السنة السادسة 2011
- شمعون دنحو، " إمارة سوران ودورها في طرد اليزيدية والسريان"، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد (7)، 2006
- لقمان خيالي، " العقبات في طريق إستقلال كردستان" جريدة (الإتحاد) العدد (150)، 23 أيلول 1995

- _____، " ثورة الشيخ عبدالله النهري قراءة و ملاحظات " جريدة (الإتحاد)، العدد (182) 4يار، 1996
- الكوردية :
- نەبو بەکر عەلی، ناسیۆنالیزم و ناسیۆنالیزمی کوردی دیدیکی ئیسلامی هاوچەرخ، بەرگی یەكەم، (چاپخانهی رۆژهەلات - هەولێر - 2008)
- نەحمەد عوسمان نەبو بەکر، کورد و کوردستان نە کۆمەڵە و وتاریکی میژوویدا، وەرگیڕانی: نازاد عوبید سالیح، چ 1 (هەولێر - 2005)
- جە عەزەعی، ناسیۆنالیزم و ناسیۆنالیزمی کوردی (سلیمانی - 2004)
- جۆناتان - سی راندل، کوردستان یان کلۆی نەتەوویەك، دواي نەو هەموو زانیاریانە ئیپوردنی چی؟ وەرگیڕانی خەسرەو شائی، (وەزارەتی رۆشنبیری - سلیمانی - 2003)
- حسین مەدەنی، کوردستان و ستراتیژی نیو دەوڵەتان، ب 2، (چاپخانهی رۆژهەلات - هەولێر - بی سال)
- مامەند رۆژه، نەرمەنۆساید - سەدەییەك نە پەییوەندیەکانی کورد و نەرمەن، چ 1، (مەڵبەندی کورد و ئۆجی - سلیمانی - 2008)
- ماھ شەرەفخانم مەستورە کوردستانی، میژووی نەردەلان وەرگیڕان: حەسەن جاف و شکور مستەفا، چ 1 (وەزارەتی رۆشنبیری - بەغداد - 1989)
- مەریوان وریا قانیع، " ناسیۆنالیزمی دوورمەودا، گۆقاری (رەهەند)، ژمارە 9-10
- مەریوان وریا قانیع، ناسیۆنالیوم و سەفەر کورد نە دیاسپۆرا، (ناوەندی رەهەند - سلیمانی - 2005)
- محەمەد حەمە باقی، میرنشین نەردەلان بابان سۆران نە بە لگە نامەکانی قاجاریدا، چ 1، (دەزگای ئاراس - هەولێر - 2002)
- محەمەد حەمە باقی، شۆرشێ عوبەیدوللای نەهری (1880) نە بە لگە نامەکانی قاجاری دا، چ 1 (چاپخانهی وەزارەتی پەرورە - هەولێر - 2000)
- ن. نا. خالفین، خەبات نەری کوردستاندا (موسکۆ - 1963)
- نە و شیروان مستەفا نەمین، کورد و عەجەم، چ 2، (سەنتەری لیکۆئینە وە ی ستراتیجی کوردستان - سلیمانی - 2005)
- هەستیاریکەمال کوردی، سیاسەتی روسیای قەیسەری بەرامبەر بە کورد 1850-1914 (نەکادیمیای هۆشیاری - سلیمانی - 2011)
- یاسین سەردەشتی، کۆماری میلی دیموکراتی کوردستان، (بی شوین - بی سال)
- الفارسیة:
- اردشیر کشاوری، طرد کرد، ضاٹ اول (انتشارات طاق بستان - کرمنشاه - 1377 . ه. ش)

- کلیم الله توحیدی، حرکت تاریخی کرد به خراسان دفاع از استقلال ایران، ج 1، ض 2، (مشهد - 1371 ه. ش)
- تیلی أمين علي، حركة الشيخ عبيدالله النهري في الوثائق البريطانية، ينظر الموقع الإلكتروني على الانترنت: http://bahoz.hostoi.com/obeydulah_nehry.html
- عماد عبدالسلام رؤوف، إمارة سوران والشأن العراقي سنة 1832 (وثائق تاريخية مهمة) ينظر موقع (الصوت الآخر) على الانترنت: <http://www.sotakhr.com/2006/index.php?id=2424>

Abstract

Through the study of the obstacles and challenges that accompanied the stages of taking shape and forming the idea of Kurdish nationalism, we draw important facts and conclusions, the most notable ones are:

The national idea cannot be formed and matured in an unprotected social and political environment. In other words, it is not easy for the national idea to take a form if there is no state which is capable of protecting the nation's culture and national identity.

The two Safavid and Ottoman countries made great efforts to make the Kurds busy with the sectarian struggles among them in order to exploit their strengths and to benefit from their fighting capabilities in the rounds of bloody wars and battles. To prevent the Kurds from liberating or closing the way out of their control and weakening the national bond among them, the authority of these two countries were devoted to agitate the fire of enmity and strife among the Kurdish Emirates or the conflicted tribes in order to strengthen tribal nerves and strengthen local loyalties among them.

It is not denied that the prevailing economic fact and social life that was lived by the Kurdish society during the era of the emirates or later did not help and it was not encouraging to take a form the idea of nationalism in the Kurdish man at that time. The spread of poverty and illiteracy among Kurds has led to the individual's attachment to his tribe and the lack of thinking beyond that.

The major powers that required their interests to penetrate the countries of the region played a negative role and a serious obstacle to the Kurdish liberation movement in which the national idea was formed and revived. The Allies divided Kurdistan in the Sykes-Picot Agreement in 1916 and worked to consecrate the division even more horribly than before by their policies and plans to overcome the Kurdish revolutions and to deprive their freedom and exiled their leaders. And now a day it is trying to pass its plans and works to tear the region through the revival of the disgusting sectarian conflict among the Muslims, it is inevitably the developments of new condition has new effects and repercussion on the Kurdish issue and it also has serious risks to the procession of taking a shape and forming the idea of nationalism among the Kurds.